الارتقاء باللغة العربية بين الإعلاميين وشعراء الفصحى

أ.د عبد الرحيم محمود زلط

مدخل البحث :

الارتقاء هو السمو بالشئ المقصود إلى الدرجات، وتحسين مستواه بقدر ما يستطيع الإنسان بما تؤهله اليه نفسه ومعارفه، وحتى يطمئن الى أن ما حققه يرضى الآخرين كما رضيت نفسه إليه، والاتقاء باللغة العربية هو التبصر بها وجعلها فى المنزله الرفيعة التى يرجوها صاحب الفكر أو معد البحث وما استطاع من حشد افكاره البناءة نحو ما يرجوه فيها. وتداول اللغة يحتاج إلى ركنين أساسيين؛ هما المرسل لها ويقابله المستقبل لما بينهما من العبارات والجمل والألفاظ، ويتوقف ذلك على التناغم والتوافق بينهما بحيث يتحول شعور كليهما إلى الوصول إلى المعنى المطلوب، فإن كان المرسل ضعيفاً فى كتابته أثر ذلك فى المستقبل، وإذا كانت الرسالة غير مصاغة بطريقة متقنه وحكمة تامة فإن ذلك يؤثر على الاتصال، وربما يجعله معدوماً، كما أن الوسيلة نفسها لابد أن تكون من القوة والمرونة حتى تعين المرسل أن يكون مزهواً بما تفيده لدى المستقبل، ويكون ذلك برفعة الألفاظ المكونة للحمل، وترابط الجمل المؤدية إلى الكيان اللغوى المنشور، فلابد أن تكون الوسيلة قوية حتى تصل الإشارات إلى المستقبل فى الوقت المناسب والمكان المناسب مهما حدث من تداخل أو تنافس مع الوسائل الأخرى، وكذلك الحال بالنسبة للمستقبل نفسه أن يكون قادراً على فك رموز الرسالة بالطريقة المطلوبة. وقد قال السابقون إن اللغة افراز مركب ضرورى للفرد وصالح لأن يكون بالكيفية الاجتماعية حتى يمكننا أن نفسر كلام الفرد إلى نفسه وكذلك كلامه إلى غيره من البشر، فاللغة دالة الفكر وهى فى عمومها ذات وظيفة هامه يمكن ان يلخصها الإنسان فى أمرين؛ أمر فردى وهو حاجة الفرد إلى المجتمع الذى يعاصره ويعيش فيه، والأخر اجتماعى خالص وهو تهيئة الجماعة كما يدور فى خلد الفرد ويفرزها قولا أو كتابة. ولهذا كان على الفرد أن يراجع ما يقوله ويعرضه على فكر الآخرين حتى يصل إلى المستوى الراقى المطلوب لتوصيل ما تصبو اليه نفسه، وذلك لان وظيفة اللغة تهيئة الجو الاجتماعى فإن اللغة أصل وجذر لكل ما يمكن ان يتصوره الفرد المرسل من عوامل مشتركة كالتاريخ المشترك والدين المشترك بين الجميع والأدب والفكر والإحساس والإرادة للعمل المشترك. حيث لا يقوم شئ من ذلك بدون اللغة، فكيف يمكن تصور أصول دينية بدون لغة وكذلك أصول تاريخ مشترك بغير تحديد اركان عنصر الزمن ووقائع الحياة دون أن يكون هناك ترابط وتلاحم لغوى. إن الشراكة فى هذه المجتمعات البشرية لا تتم إلا باللغة، ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها إلى الوجود اثناء عملية تطوير البشر وارتقائه بلغته هى ما يتميز به فى تلك الوسيلة الوحيدة الفعالة فى المجتمع، فالوظيفة اللغوية فى الاتصال الإعلامى بالجماهير المتنوعة هى غاية الارتقاء ورمز الحقيقة وشارة الواقع المحسوس بكل مدركات الإنسان مهما كانت ثقافته. ولا يمكن أن يقال إن اللغة هى اداة لنقل الأفكار وإنما هى وسيلة للتعاون والترابط بين أفراد المجتمع فإننا نتبين كثيراً من الناس يتكلمون فى موضوعات ليس يعنيهم منها نقل أفكارهم إلى غيرهم وإنما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية أو النظر فى أمور تخصهم فى شئونهم(١) وقد عرف الأقدمون اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(٢) ، وهذا التعريف قد تمشى مع تعريف الجرجانى وابن جنى وكذلك مع التعريف الاتصال بالجماهير والباحثين فى الرأى العام والخاص حيث إن الألفاظ بمكنون معناها تجهز النفس البشرية لفهم ما تسمع أو تقرأ أو تشاهده خلال الوسائل المعينة فى خطوات تفسيرية وسائل الإعلام المختلفة .

وإذا كان هذا البحث يتحدث عن عنصرين اساسيين هما: الإعلام والشعراء فلابد للباحث ان يتجول بإيجاز مع كل منهما، وان يستوضح عناصر البناء فى كل، ويكون العلاج الذى يهدف اليه حتى يصحح المفهوم

المطلوب، ويبنى العلاقة بين مكونات كل عنصر مع الأخر.

أ- الارتقاء باللغة فى وسائل الإعلام

ينقسم الإعلام اللغوى إلى فروع عديدة؛ منها المكتوب ومنها المسموع، ومنها المرئى؛ وفرع الإعلام المكتوب يقع فى الصحف والمجلات السيارة اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية والتى يتناول التعامل معها جمهور وفير من القراء؛ وتحتوى تلك الوسائل على لغة يغلب عليها السهولة وربما دخلتها الفاظ عامية مما يدور على السنة الناس، وتتسم الفاظ تلك الصحف بالإدراك المباشر والفهم السريع، وغالبا ما تكون المادة اللغوية المشتركة ذات أثر قوى فى حياة الرأى العام لأنها السبيل الوحيد لفهم الأشياء المحيطة بالجميع والطريق القويم لارتباط الافراد ببعضهم البعض، والوصل الحقيقى للأفكار القائمة فى الأذهان والمهيئة لرقى الأمم فى شتى نواحيها، وصفات هذه اللغة المشتركة انها الأساس الذى يمكن للقارئ أن يحكم على المنطقة التى تدور فيها الفاظ وعباراتها بيسر وسهولة اعمال للفكر البشرى حيث إن لغة الآباء والأجداد بمثابة مستودع لكل لما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين فإن قلب الشعب ينبض فى لغته وإن روح الشعب يكمن فى لغة الآباء والأجداد(٣) وشواهد الماضى وتجارب الحاضر تثبت فى وضوح أن اللغة على الإطلاق هى أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أهلها، ومضمون هذا الرأى أمران هو اتصال الناس بعضهم ووجود لغة مشتركة بين الأفراد (٤) .

وحيث إن الوجود البشرى ملتحم باللغة كظاهرة إنسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس فى كل لحظة، وتوافق المجتمعات فى أطوارها التاريخية المتلاصقة فيصيبها ناموس التغير الحتمى الذى يجعلها صادقة للتعبير باللفظ والرمز والإيحاء عن حياة المجتمعات العقلية والحسية، فاللغة لا توصف التحجر وهى قادرة على التشكل والتغير وتطورها مرتبط بتطور الاقوام التى تنطق بها، فتتغير حروفها، ومعانى كلماتها وجملها مختلفة .

لقد أصاب اللغة الاعلامية المكتوبة فى صحافة أيامنا هذه انهيار وصل إلى اختلاف الأمة فى فهم المدرك من المكتوب، وتنوعت أهواء الناس إلى عشق صحيفة محددة لأنها وقفت عند فكر معين، فالسهولة المفرطة، والسطحية المملة هى سمات تلك الصحافة اليومية وذلك لان أصحاب أقلامها لا يقفون عند الألفاظ الرصينة المكونة للجمل.

والارتقاء بهذا اللون من الكتابة يحتاج إلى تكوين جيل معين من الكاتبين، كل همهم أن يصلوا بالقارئ إلى رقى فكرى ووصول إلى درجة رفيعة من إعمال الفكر والقصد بما يدور فى خلد الكاتب، ويرى أن يوصله إلى القارئ، ويقف عند حد الإبداع البلاغى وسمو المعنى، ويبتعد عن الانهيار المعنوى أو الوقوع فى مزالق لغوية تغير المعنى وتلبس الأمر عند القارئ، ولا يكون ذلك إلا عند الكاتب الذى لم تكن له خلفية لغوية صحيحة ومعرفة تامة بأصول النحو العربى والابتعاد عن الأخطاء الشائعة وتأويل الاعراب .

كذلك الحال فيما تقوم به وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، فهناك قنوات إذاعية وأخرى يعلنها «التلفاز» وربما اشتركت كلها فى عرض أمر أو تناول حدث، أو توصيل مسلسلات أو حلقات يومية فى موضوعات للتسلية أو للمعرفة ، مما يهتم به المشاهدون ويحرص عليه الناس مع اختلاف أعمارهم وتعدد مهنهم. وكل هذه القنوات يتحدث فيها مذيعون باللغة العامية أو باللهجات الدارجة، وربما يصعب فهمهم أو يحتاج الأمر إلى مترجم لمجمل حديثهم حيث استخدام مسميات مهنية وأساليب حرفية تخصهم دون سواهم. وهؤلاء الذين يقومون معهم بالحوار إنما يتعودون الحديث بذات اللغة الدارجة أو اللهجات المألوفة حتى لو كان الحديث أو النقاش بعيداً عن اللغة العربية الفصحى، وان دل على شئ فإنما يدل على انحطاط فى تناول اللغة الفصحى كالحديث عن الوان الطعام وطرق إعداده، أو الحديث عن لون من المحاصيل الزراعية وخطوات استنباتها أو ما يدور فى داخل البيوت من لقاء نسوى أو مسلسلات للتسلية أو حلقات مسرحية الغرض منها قضاء الوقت، أو حتى ما يخص الأطفال أو صغار المثقفين فيلتزم القائمون على تلك القنوات بالهبوط باللغة الى مستوى العامية، وتضيع الفصحى فى

تلك المجالات وربما زادت الحصيلة للألفاظ الدارجة، والكلمات المستعارة من اللغات غير العربية من التى تتلقفها آذان الناس ويدور على السنتهم من لغات اوربية أو أخرى تجاور بلاد العرب المحبة للفصحى كأسماء وسائل المواصلات، أو مسميات الملابس وألوان الطعام وصنوف الأدوات المستخدمه فى المنازل أو الحقول أو المصانع.

إن الوسائل الاعلامية السمعية كالإذاعة والقنوات الفضائية تتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات القصيرة سهلة الإدراك، فإذا كانت المطبوعات والصحافة تتناسب مع ذوى الثقافات المختلفة فإن الإذاعة والقنوات الفضائية تتناسب مع قليلى الحظ من الثقافة . حتى الأميين انفسهم ولما كان عنصر التعبير عن الشخصية متوافراً على الصوت الإذاعى النابض بالحياة فإنه من الطبيعى أن تتفوق الإذاعة والفضائيات عن الصحافة .

ولما كانت الغالبية العظمى من مستمعى الإذاعة ومشاهدى الفضائيات من الأميين أو متوسطى الثقافة فإن الاستهواء لديهم يكون أسرع من قراءة صحيفة أو تتبع خبر مكتوب أو مسلسل عبر حلقات عديدة . فلا غرابة ان تلعب الاذاعة والفضائيات دوراً خطيراً فى الدعاية بمختلف الوانها اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو سياسية، وكذلك تقوم هذه الوسائل بدور رئيس فى التسلية وجذب انتباه المشاهدين مهما كانت درجة ثقافتهم .

وهناك مميزات للقارئ أو المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة التى يستخدمها بطريقة تلائمه، فالقارئ فى حالة الصحيفة يستطيع أن يتركها أو يستمر فيها، بينما فى حالة تملك الاذاعة أو الفضائيات عليه شعوره تقف حريته بعد أن تتحول تلك الوسائل فى بثها أو عرضها.

ان تطور لغة اعلامية فى الإذاعة والفضائيات مرتبط بتطور الاقوام التى تنطق بها فاللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة العصر الذى يعيشه المشاهد للغة الإعلام بالإذاعة والفضائيات، ولا سبيل لتفضيل لغة على أخرى وإنما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغة الإعلامية، وما احوجنا إلى الحاجة إلى لغة اعلامية بعد ظهور وسائل الاعلام وتنوعها إلى مكانية مقروءة أو زمانية مسموعة. ويقصد بالمكانية التى تشغل حيزاً فى مكان كالصحف، أما الزمانية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالإذاعة والفضائيات والأحاديث المسموعة وهى وسائل شفوية أو سمعية .

وكذلك نجد ان من اسباب انهيار مستوى اللغة العربية بالإذاعة والفضائيات عدم الالتزام بقواعد اللغة العربية فى الحوار الذى يجرى فى احاديث المتخصصين، ومن هنا تعود المستمعون على اللحن والبعد عن قواعد اللغة والانحدار التام إلى لهجة العامية ومستوى الثقافى لدى المتحدثين، وكل ذلك يخرج اللغة العربية من مستواها الرفيع بين ابنائها وفى عقر دارها، ولو أخلص هؤلاء المتحدثون والتزموا بالعربية المبسطة لارتقوا إلى المستوى الرفيع الذى نرجوه لها، ويكفى أن يفهم السامعون كل ما يدور حواريا باللغة السهلة كالتى تفهم بها آيات القرآن.

ويمكن تطوير رقى اللغة الحوارية فى الفضائيات ببث خطة قومية محكمة وذلك بالنهوض بمستوى التدريس باللغة العربية وان يكون هناك تدريب مستمر وامتحانات متتالية فى محيط ما يدرس والتزام المتحدثين فى حواراتهم باللغة العربية الفصحى والتمسك بقيم الإعراب النحوى .

ويجب ان نلتزم مع المتحدثين والمحاورين والإذاعيين فى القنوات الفضائية بضرورة الحفاظ على ان يكون الحديث باللغة العربية الفصيحة، وكذلك الالتزام بها فى البرامج التثقيفية والفنون المختلفة والمسرحات والمسلسلات والأغانى التى يميلون فيها إلى العامية، وكفانا إن نرى ذلك مألوفاً فى تمسك البعض بالفصحى مثل اغانى أم كلثوم من عيون الشعر العربى والأحاديث الدينية المبسطة من أدب العلماء والمفسرين، ومن هنا تجب العناية بالخطاب الدينى المفهوم كما نعرفه فى خطابة الجمعة واللقاءات العديدة فى الاجتماعات والنوادى الثقافية والحرص دائما على التزام علماء الدين الاجلاء على اللغة العربية لأن ذلك يساعدها على الشرع الشريف وتستمد اللغة قوتها من قوة الإسلام، ويكفى ان نلاحظ أن بعض البرامج حين تقدم بالفصحى يألفها السامعون وينصتون اليها بكل جوارحهم .

وإذا كان هناك قصور فى وسائل الإعلام نحو رفعة اللغة العربية فإن ذلك يرجع إلى قصر فترة الاذاعة

والحوار، فحبذا لو جعلوا لهذه الألوان الكلامية سعة زمنية، وحولوا احاديثهم الى صفحات تكتب ويتدارسها الناس، ويلقيها شيوخ اللغة ويحفزون الشباب على قراءتها والتفاعل معها وبذلك تساهم وسائل الاعلام فى اقبال الناس على لغة الاسلام والقرآن .

ويمكن تعويد الشباب المنصتين للأحاديث والحوارات خلال الفضائيات الى تبسيط اللغة المسموعة، وتقديم كل وسائل التشجيع للدخول فى حوارات باللغة الفصحى وتقديم الجوائز لهم حين يندمجون فى الحوار بالفصحى المبسطة ويرتقون بها لتصل إلى صفوف الاتفاق .

ولكى ترقى اللغة العربية فى الإذاعة والقنوات الفضائية لابد ان تكون مختصرة ومخلصة حتى يكون الاسلوب الذى يصلح ان نخاطب به جدة فى التسعين من عمرها لا تسمع جيداً ونخاطب به طفلا لا يخاطب الرابعة عشرة ونخاطب به رجلا كبيراً ناضجاً أى ان الاسلوب الإذاعى يحتاج إلى صفات محددة عند كتابته وهى الاختصار والوضوح وسلامة اللغة يضاف إلى ذلك صفة حسن النطق التى تتعلق بالصفات الشخصية، لأن المؤثرات التى يضفيها الصوت البشرى على الكلمات عندما ما تؤدى بشكل معين يعبر عن حرارة الصدق والتفاعل، والمقصود بالاختصار هو استخدام الجمل القصيرة التى تؤدى رسالتها التبليغية للمستمع لكى يستوعب المعنى المقصود فى يسر وسهولة، ويدخل فى هذا النطاق تجنب التكرار وتجنب استخدام الجمل الطويلة والمعانى المتشعبة التى تشتت ذهن المستمع وتباعد بينه وبين الهدف الذى يصبو اليه الكاتب فلابد من ان تكون الجملة المنطوقة تستغرق وقتا قصيراً وذلك لان طول الجملة يرتبط ارتباطا وثيقا بهذا العمل من حيث استخدام المصطلحات الفنية والمهنية التى يعرفها المتخصصون وحدهم. والكاتب الإذاعى هو الذى يتوفر فيه من صفات أو اعتبارات أو شروط تؤهله للنجاح فى هذا العمل. وهى تسمية تطلق عادة على الأديب أو الفنان أو الصحفى الذى يكتب مادة إبداعية للإذاعة فيكون هو المؤلف المبتكر للمادة المقصودة.

ولكى ينجح الكاتب الإذاعى رقيا باللغة العربية لابد أن يتوفر فيه صفات هى التخصص الدقيق فيما يعده، ويعتمد ذلك على الموهبة التى يتمتع بها، والاستعداد الشخصى، وكذلك فهم طبيعة الوسيلة التى يستخدمها وخواصها، وفهم طبيعة الجمهور الذى يكتب به، والثقافة التى تتصل بعمله الإذاعي، والثقافة العامة التى يدرك من خلالها صفات الآخرين من الجمهور الذى يكتب له وهى مجموعة من المعارف والمعلومات، ثم معايشة الواقع والمرونة الدائمة فى كل ما يقدمه .

ولنجاح الكاتب أو المتحدث الإذاعى فى الارتقاء باللغة العربية فهناك فرق بين الكتابة الإذاعية والكتابة الصحفية، كما أن هناك شروط للكتابة الإذاعية حتى يؤدى دوره بمهارة وهى:-

أ – أن يكون لديه موهبة ذاتية او استعداد شخصى وهى قدرة او قدرات من المواهب الفطرية تتوفر فى شخص دون الآخر، ويشعر فيها الكاتب بهمته ورغبته الأكيدة فى التفوق وهذه الموهبة يمكن صقلها بالعلم حتى يستوفى الكاتب خبرته الذاتية عمن سواه .

ب – فهم طبيعة الوسيلة التى يستخدمها وخواصها، فمن يعهد اليه الكتابة للإذاعة المسموعة غير من يعهد اليه بالكتابة فى القنوات الفضائية، وهذا له جمهور من السامعين وذاك له غيرها.

جـ – الاعداد السليم، وتلك صفة يحتاج اليها الكاتب فى ان يدرس الموضوع الذى يتعرض له، ويدرس جميع جوانبه، ويقدر عامل الزمن ومقدار الفواصل بين اجزاء العمل الإذاعى .

د – فهم طبيعة وخواص الجمهور الذى يكتب له ويتناول الحوار معه.

هـ – الثقافة وهى التى تتصل بالعمل الإذاعى ويسعى الانسان إلى التزود بها وإتقان اداءها .

هـ – الثقافة التى تتصل بالموضوع الذى يتناوله الكاتب المعد والمحاور المعد، وان يدور معه من حيث الزمن المرتبط بإذاعته، والبيانات الضرورية للاعداد والعرض، والمقصود بها مجموعة المعارف والمعلومات والاهتمامات المتنوعة التى تشمل السياسة والتاريخ والاقتصاد والمجتمع وتعد جزءاً لا

يتجزأ من الموضوع وحسن عرضه باللغة الفصحى.

و – معايشة الواقع، وهذه صفة تدل على جهد الكاتب للبرامج المختلفة ودراسته لكل انماط هذا الموضوع الذى يتعرض له وإبعاده المختلفة وإدراك مشاكله وقضاياه وما يشغل الناس من هذه القضايا وتلك المشاكل .

ز – المرونة، وهى القدرة على مواجهة المفآجات وهذا امر تفرضه طبيعة العمل الاذاعى والمرئى، فقد يتعذر الحصول على موافقة السلطات لتصوير برنامج لغوى معين كما يتعذر التصوير فى مكان ما لسبب ما وهذه وغيرها من مفاجآت العمل الذى يحتاج إلى المرونة والقدرة على مواجهة مثل هذه المشكلات .

ويتطلب الحديث الإذاعى والمرئى عدة اعتبارات أهمها :-

١- كتابة الحديث بلغة سليمة منطوقة. وهى نفس اللغة التى يتحدث بها الكاتب مع مجموعة من الناس ليصل بهم الى درجة الاقناع .

٢- لابد من استخدام الكلمات البسيطة المفهومة أو اللغة المشتركة التى تعين المستمع على الفهم.

٣- ينبغى ان يستخدم كل لفظ للتعبير عن غرض ما، ولا يستخدم لفظا دون ان يكون له معنى.

٤- ان تكون المقومات البلاغية والبيانية من محسنات الأسلوب فى الكتابة أو الخطابة، وهذه المقومات تختلف من موضوع لآخر فى الاسلوب الاذاعى أو عند من يتعرض للحديث فى القنوات المرئية المسموعة .

٥- ان يخلو الحديث من التعقيدات الفنية والألفاظ الضخمة التى يستعصى على المستمعين فهمها.

٦- ان تكون الصياغة فى تركيب خاص على نحو ما يسهل معه حفظها وإعادة ترديدها، وألا يأتى الحديث فى صورة شعارات أو ان يغرق الكاتب فى التنميق اللفظى أو السمع .

٧- ينبغى ان يسترسل الحديث فى اسلوب بسيط مقنع مع التراكيب رشيق الالفاظ بحيث يشعر المستمع المشاهد بأن المتحدث يعرف موضوع حديثه جيداً(٥) واذا كانت هذه هى مواصفات المتحدث المعد لبرنامجه بأسلوب ذاتى يرقى باللغة العربية الى المستوى الرفيع الذى ينتظره المشاهد السامع له، فإن هناك صفات عديدة فى كل مادة اذاعية يقدمها هى:-

١- استخدام الألفاظ اللغوية الشائعة وتركيباتها المألوفة والابتعاد عن الكلمات المهجورة او التى لا يفهمها الا المتخصصون .

٢- ينبغى استخدام الكلمات محددة المعنى بدلا من الكلمات التى تحتمل اللبس والغموض والتى يكون لها اكثر من معنى .

٣- تفضل الكلمات ذات المقطع الواحد وليست الكلمات المطولة المركبة لأن الأولى تحقق المعنى المطلوب فى يسر وسهولة .

٤- يجب ان تكون الجمل قصيرة ومختصرة لان الجملة الطويلة تجهد المذيع وتضيع منها المعنى وتحتاج الى قدر كبير من التركيز لكى يستوعب مضمونها .

٥- ينبغى ان يتلافى المحور تتابع الجمل المتساوية الطول فى متن الخبر .

٦- ان يهجر المذيع مجال الجمل الاعتراضية لانها إذا وردت فى صلب الخبر تؤدى بالمستمع ان يخلط بين المعنى الأصلى والمعنى الفرعى .

٧- ينبغى ان تتضمن الجملة فكرة واحدة حتى لا تتداخل الأفكار مع بعضها ويضيع معناها .

٨- يفضل ان تبدأ الجملة بالمصدر الذى ينسب اليه الفضل .

إن هذه العناصر فى الكاتب الإذاعى الحريص على الارتقاء باللغة العربية، وبعدته الكلامية من الألفاظ والعبارة هى العوامل الاساسية فى الارتقاء باللغة العربية متى هجر معها العامية واللهجات المكانية، ومتى تجنب استخدام الألفاظ التى تحتاج الى المعاجم المفسرة .

وعلى المتحدثين باللغة العربية فى وسائل الإعلام ان يلتزموا فى حواراتهم باللغة العربية الفصحى مع الابتعاد عن تضمين حواراتهم مفردات من اللغات الأخرى، وينبغى ان تختفى من شوارعنا الإعلانات المكتوبة باللغات الاجنبية بحروف عربية، كما ينبغى ان يلغى التمييز الطبقى بين مدارس اللغات غير العربية واللغة العربية .

وهناك سبل كثيرة للحفاظ على اللغة العربية والارتقاء بها وهى أن نحسن تعليمها لابنائها منذ الصغر وان نؤدبهم بأداب هذه اللغة، وهذه سئولية الأسرة فى حماية الابناء من الانحدار الى اللغات الأخرى وهجر لغة القرآن والشريعة السمحة، فالذى يعتز بلغته العربية يعتز بقوميته. وإذا كان التعليم الدولى فى البلاد العربية يحاول أن يقهر العربية الفصحى ويفرض سيطرة لغته بين ابنائنا فإن مهمة المنزل والمسجد ودور العبادة كلها أن تقوى فى الابناء حب اللغة العربية ، وتلك رسالة رجال الدين بجانب المدرسين والآباء والأمهات بالمنازل حيث ان التعليم الأجنبى فى البلاد العربية يحاول هدم كيان اللغة العربية وتقع على عاتق القائمين على التعليم أن يجاهدوا عن العربية لغة للتخاطب، وسلاحاً للإعلام بشتى صوره وعناصره، كاتخاذ –اللغة العامية فى المسلسلات والمسرحيات إلى ان تكون محشوة باللغات الوافدة وعامية الأمة خاصة فى الفنون والآداب .

كذلك يجب على وزارات الثقافة فى البلاد العربية ان تهتم بالنوادى الأدبية واللقاءات التى تعقدها ويأتيها محبو الثقافة الفصحى ان يكثروا فيها فى مدنهم وقراهم، وان يحرصوا ان تكون اللغة العربية الفصحى هى لغة التخاطب والتفاعل داخل تلك الاماكن، مع تقديم التشجيع والتنافس للنهوض باللغة الفصحى بعقد حلقات الدرس وتبصير الابناء بالحفاظ على لغة الجدود الذين عشقوا اللغة الفصحى واهتموا بالتعليم منذ حفظ القرآن الكريم بالكتاتيب والمدارس والمعاهد الازهرية فى القرى والمدن على السواء

كذلك ينبغى عمل دورات تدريبية لمدة عام يلحق بها من كان همهم ان ينضموا الى قوافل الاذاعة بانواعها مرئية أو مسموعة ومرئية بقنوات الفضاء والتى تظهر منها سموم قتل اللغة الفصحى، وتكون الدراسة فى هذا العام بمعرفة اساتذة اللغة العربية فى مختلف الجامعات والمعاهد المتخصصة فى الخطابة والإنقاء وحسن الصياغة الاسلوبية، ولا يجوز ان يصل الى مرتبة الاذاعة إلا لمن أحسن الخطابة والإلقاء وحبب الى نفسه اللغة الفصحى واتخذها منهجه .

وكذلك منع أى مادة صحفية يومية أو غير يومية او فى المجلات أو وسائل التقنية الحديث إلا باللغة العربية الفصحى، وكذلك الحال مع الإعلانات التى تنتشر فى الصحافة او فى القنوات الفضائية فكلها معاول هدم لصرح اللغة ولا يكمن البناء إلا لمن صلح لسانه وأتقن العربية كتابة وحديثاً وابتعد كلية عن الانحطاط فى مهاوى اللغة العامية الدارجة .

ب – الارتقاء باللغة العربية عن طريق الشعر الفصيح :-

ولأن الشعر ديوان العرب فقد اهتم كبار الشعراء فى النظم الصحيح لقصائدهم، وعاشوا يدافعون عن اللغة العربية ويترنمون بها فى ميادين الثقافة والمعرفة، فالشاعر سلاح قوى للوطنية والدفاع عن الأمم، ومنذ القدم كان سلاحاً ضد المعاندين للدين الاسلامى وحصن دفاع عن اللغة الفصحى واركان الدين، ولو استطلعنا دواوين الشعراء منذ صدر الاسلام بل منذ العصر الجاهلى لوجدناها تدور بعناية فائقة فى الحفاظ على أصول اللغة العربية، وعاش الشعراء فى عصر الامويين وفى العصر العباسى وعصر الدول العربية بالأندلس ينظمون باللغة العربية ويرفعون من قدرها بين الشعوب العديدة حتى تخيل الناس قديما أن بناء اللغة العربية صرح لا يقهر فى أبنائها، وانتقلت الحضارة الثقافية والفنية عن طريق ترجمة علوم العرب المدونة باللغة الفصحى، ويكفى ان يراجع الباحثون كبرى مكتبات الجامعات الأوربية أو غيرها من الدول الاعجمية ويجد حالات عديدة وأرفف لا تحصى تفيض بعيون اللغة العربية علما وفقها وشعرا مترجما أو غير مترجم، يفوق ما نراه من دواوين العامية بين صغار الناس.

ولقد وجدت اللغة العربية من يدافع عنها من ابناء العرب ضد مدعى الحداثة والتقدم فى العصر الحديث، ويكفى ان نجد دواوين اعلام شعراء العصر الحديث فى الأفكار العربية تفيض بقصائدهم تمجيداً للغة العربية، ويضيق المجال عن حصرهم .

ويكفى ان اضرب امثلة مما قاله اعلام اللغة العربية شعراً فى بعض البلاد العربية، ومنها ما قاله الشاعر «هاشم الرفاعى» دفاعاً وتمجيداً للعربية: (٦)

ما ضر لو ملكوا عنة لفظها

فى درسهم أن يسبروا اغوارها
كانوا ومازالوا عليها قامة
أنلوم فى أن يدركوا أسوارها
قلتم تشعبت المسائل عندها
وشكا الصغار فحطموا أحجارها
أقسمت لم يشك الصغار وإنما
قد ساء مزعوم القيود كبارها

ويمجد الشعراء دور الشعر فى اعلاء شأن الأمم ومناصرة قضايا الحق ومن ذلك ما نظمة «عبد اللطيف» النشار حيث قال(٧) عن الشعراء ويعنى بهم شعراء الفصحى:

هم النظر الذى يهدى عيانا
هم الأذن التى تهدى سماعا
فيا شعراء واد النيل مالى
أرى حقاً بواديكم مضاعا
أبينوا الحق أن يبدو جليا
أزيلوا عن محاسنة القلاعا
اسائلكم ولم استثنى نفسى
لماذا يبدع الغرب ابتداعا
بأنفسنا مواهب لو أردنا
لأحسنا بهن الانتفـاعا

لقد تحدث مصطفى صادق الرافعى عن الشعر ومعناه – ويقصد به الشعر الفصيح – فقال: الشعر معنى لما تشعر به النفس، فهو من خواطر القلب، إذا أفاض على الحس من نوره انعكس على الخيال فانطبعت فيه معانى الأشياء كما تتطلع الصورة فى المرآه(٨) ويؤكد الرافعى أن الشعر كالحلم يخلق فى المخيلة مالم يسمع ولم ير مما يمكن أن يكون مسموعاً أو مرئيا. يجئ الشعر وسيلة لتمثيل روح الفرد ذاته وافاضته الاحساس عليها، والشعر علم نفس يعتمد على المراوغة والحيلة.. والقلب موطن المشاعر والعواطف ورقة الإحساس.. والنفس مقر العقل والمنطق.. والشعر فن خصائص الأفكار الجميلة المؤثرة.

وللأستاذ الدكتور محمد عبد الله سليمان مقال عن اللغة العربية فى عيون شعرائها المحدثين – ويعنى بهم شعراء الفصحى حيث لا يلتفت إلى شعر العامية وما يكتبونه – فيقول : لقد تناول شعراء اللغة العربية المحدثون فى قصائدهم محاور مشتركة ظلت تؤرقهم وتؤلمهم فقد تداولو مسألة المؤامرة على الفصحى، والاعتزاز بالعربية والمفاخرة بها بين اللغات الأخرى ، كما تناولوا الترجمات معتقدين أن العربية ليست عاجزة عن إيجاد الحلول اللغوية لكل تطورات الحياة، وذرفوا الدموع على ضعف اللغة عند ابنائها وفى وسائل الاعلام الحديثة.

ويأتى ببيتين للشاعر الليبى خليفة عبد الله حسن يشارك حافظ إبراهيم البكاء والحوار على اللغة:

الا ايها المحتار سؤالا
أنا لغة العروبة كل فخر
لسان العرب مرحى ثم مرحى
واهلا ثم سهلا فوق عذرى

ويتناول على الجارم الترجمات من العربية إلى اللغات الأخرى بأنها قصيرة المدى تؤرق من يحس للعربية الفصحى مكانا فقال:

والترجمات تشن الحرب لافحة
على الفصح فيا للويل والحرب
تطير للفظ تستجديه من بلد
ناء وامثاله منا على كتب
كمهر قد الماء فى الصحراء حين ندا
لعينه بارق من عارض كذب

ويرى ذلك الشاعر خليفة عبد الله حسن معلنا أن محنة العربية فى ابنائها الناطقين بها حيث كثرة اللحن.

كأن مجامع العرب استحالت
ديار العقم دهرا بعد دهر
ومصطلح الصناعة فى غياب
كأن الغرب منشؤه بسجر
وتفـرق فيـه ترجمة وخلفا
يطالعنا بشهر بعد شـهر

وها هو الشاعر على الجارم يحدثنا عن عقوق أهل اللغة العربية فى تظلم من أبنائها فيقول:

إن عقها أهل واديها وجيرتها
فأنت احنى عليها من أخ وأب
رأت بربعك عز الملك انصرفت
عن ذكر لبنى وذكرى ربها الخرب

أما الشاعر الفسطينى إبراهيم طومان فقد ضاق بطلاب العربية الذين ضيعوا اللغة الفصحى فأكثروا اللحن وليس لديهم الاستعداد لفهم العربية بعد أن بذل الجهد العظيم فى محاولة تفهيمهم مستشهداً فى دروسه بالنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة فيقول معارضا شوقى « قم للمعلم».

لكن أصلح غلطة نحوية
مثلا واتخذ الكتاب دليلا
مستشهداً بالغر من آياته
أو بالحديث مفصلا تفصيلا
وأغوص فى الشعرالقديم فألتقى
ما ليس ملتبسا ولا مبذولا
وأكاد أبعث سيبويه من البلى
وذويه من أهل القرون الأولى

فـــأرى حماراً بعد ذلك كله
رفع المضاف إلـيه والمفعـــولا

ويكمل الدكتور «محمد عبد اللطيف سليمان» انه اشد ما يؤلم شعراء العربية المحدثين تلك الأخطاء الشنيعة التى يسمعونها فى وسائل الإعلام ويقرءونها فى الصحف صباح مساء فهى كوخز الابر فى قلوبهم ومن ذالك الذى يحسن النصحى ولا يتألم لذلك فأخطاء النطق واللحن الجلى أصبحت سمة من سمات الذين يقدمون لنا البرامج ويقرأون علينا نشرات الأخبار ويكتبون لنا فى الصحافة ولا نستثنى من هؤلاء إلا فئة قليلة قد حصنت السنتها بالفصحى .

وقول الشاعر «خليفة عبد الله حسن» على لسان العربية بأنها تطالب أبناءها أن يتركوها فى بكائها لتحكم على نفسها بالموت وكأنها تقول ذلك وهى مشفقة على نفسها، وعلى أبنائها وتستجديهم بالوقوف الى جانبها لإنقاذها مما هى فيه من خطر جاثم على صدرها فأنقذوا الفصحى يا ابناء الفصحى فها هى تناديكم فهل من مجيب :

اذا عات الفضا وخز بقلبى
تخرب كل منظوم ونثر
الا هيا اتركونى فـى بكائـى
فإنى قد دخلت اليوم قبرى

وإذا كنا نطلق الدعوة والصيحات للارتقاء باللغة العربية فخير ما وجدته هو قصيده شاعر النبل «حافظ ابراهيم» فى قصيدته الصماء، التى نظمها تحت عنوان اللغة العربية تنعى نفسها وقد عارض لبعض ابياتها الشاعر على الجارم وكذلك تحدث عنها الشاعر «عبد الرحمن العشماوى» فى مطوله أسوق منها بعض أبياته حتى تفخر بأنها لغة القرآن لا تضارعها لغة :-

روضنا ما زال بالخصب نبيا
بكرة يثمر فينا وعشيا
انبت الفصحى لنا خير نبات
فنمت لفظا وحسا شاعريا
وازدهت نصا بلاغيا بديعا
يملأ النفس شعوراً اريحياً
ايها السائل عنافى زمان
ذاق فيه الناس بؤساً عولمياً
لغة الضاد أنا والضاد حرف
لم يباللغة الفصحى خفياً
إنا يا قوم لكم بيت كبير
يجمع الشمل ولا يؤوى شقياً
أنا والفكر لقاء ووصال
قد رسمنا لوحة الوعى سويا
انا اروى عنه أخباراً وعلما
وهو يبنى للمدى صرحاً علياً
لغة القرآن ما فى الأرض مثلى
لغة تحمل وصفا عالميا

وكانت مطولة «حافظ ابراهيم» تحت عنوان «اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها» نشرت عام ١٩٣٠ (٩)

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
ونداديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى
ولدت ولم أجد لعرائسى
رجالا وأكفاء وأدت بناتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن أى به ونمطات
فكيف أضيق اليوم عن وصفآلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صرفاتى
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى
ومنكم وإن عز الدواء أساتى
فلا تكلونى للزمان فاننى
أخاف عليكم أن تحين وفاتى
أرى لرجال الغرب عزاً ومتعة
وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
فيا ليتكم تأتون بالكمات
أيطربكم من جانب الغربناعب
ينادى يؤادى فى ربيع حياتى
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم
بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله فى بطن الجزيرة ظما
يعز عليها أنم تلين قناتى
حفظن ودادى فى البلىوحفظته
لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق
حياء بتلك الأعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا
من القبر يدنينى بغير أناة
واسمع للكتاب فى مصر ضجة
فاعلم ان الصائحين نعاتى
ايهجرنى قومى عفا الله عنهم
إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها سرى
لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات
الى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فإما حياة تبعث الميت فى البلى
وتنبت فى تلك الرموس وفاتى

واما ممات لا قيامة بعدها
ممات لعمرى لم تقس بممات(١٠)

فليت أبناءنا والمتهمين بأصول اللغة العربية يدركون ما يرمى اليه شعر «حافظ ابراهيم» وما ترنح به الشعراء قديما وحديثا ان رقى اللغة العربية لا يكون بتطعيمها باللغة العامية أو باللهجات المختلفة من ابناء الشعوب العربية، فإن ثبات اللغة العربية عند حد القرآن الكريم خير حماية لها، وان رسالة المتخصصين فى تدريس اللغة العربية هى خير وعاء للحفاظ على اللغة العربية والاشادة بها ورفعتها إلى مكان على، وليت هؤلاء الذين يدعون اسماء الشعراء يثوبون إلى رشدهم، ويتدارسون بينهم اللغة العربية قواعد وبلاغة والفاظا ومعانى، ويقومون بها كدراسة مكتملة فى شتى فروع اللغة والبلاغة العربية خير معين على ذلك .

وقد أثرت أن اجعل ختام هذا البحث قصيدة مطولة من نظمى اعارض فيها «حافظ إبراهيم» وادعو فيها الى التدبر والدراسة المتأنية للغة العربية لنرقى بها الى مضاف التقدم.

معارضة لقصيدة «حافظ إبراهيم من نظم الباحث

سأشدو ببنت الضاد وصفا بحبها
وأرقى بها فى مجمل الحيوات
درست سواها فى بلاد عديدة
فآمنت حفظ الله بالآيات
ونطق لسان الحق عند محمد
وكيف علت فيها قريش هبات
فقلت بود بعد ود بحافظ
وكل نحاة الأرض مجتمعات
وبعد سلام الله منى اليكم
وباسم الإله الفرد بالدعوات
أعارض «حافظ» إذ يبكى بشعره
لأرقي ببنت الضاد بالعبرات
رجعت لنفسى مابتدأت حياتى
وأطلقت صوتى واسع الفلوات
وناديت قومى ثم أهلى وعترتى
هلموا لدفع الضر والحسرات
وندعوا جميع الناس هبوا لنجدة
هى الضاد أمْسَت فى العراء رفاة
فقوموا قياماً لاتخاذل بينكم
«فحافظ» يدعوكم بعزم ثبات
وها « زلط» يعلى الصياح بصوته
فجمعكم المأمول فيه حماتى
تعالوا نباهى فى الخلائق والعلا
بفصحى « قريش» دونها اللهجات
ونقرأ آى الله والفخر بيننا
بقرآن ربى حاز كل ثقاة
ونسعى نقاء اللفظ والنطق دائما
من اللحن والتجريح بالهفوات
ونرقى بها فى كل نادٍ ومحفل
ونعطيها حق النطق فى الصلوات
ففيها قطوف يانعات ثمارها
وفيها حديث الود بالسهرات
وماضى علوم الناس فالكل شاهدٌ
تفوقها إحياء كل مماة
فتلك حروب الغرس والروم أخمدت
ولما ينلها هازم اللذات
جيوش من الأفرنج هبت لهدمها
فجاء « صلاح الدين» بالضربات
وأجلاهم حتى تجلت بقَوْلها
سيحفظنى الرحمن كل حياتى
جموع « تتار» الأرض باءت بحسرة
وظلت لبنت الضاد كل سمات
وجاءت جيوش الغرب والغدر فيهم
يريدون هدمى والحصون حماتى
ففى « الأزهر» المعمور والبيت شاهد
عَلىَّ لدين الله حق أداة
وكل علوم الأرض حولى ترجمت
إلىَّ وفصحايا بها عبراتى
وعشت قروناً أزدهى بين إخوانى
بنظم ونثر فيه كل عظات
ولكن شباب اليوم قاموا بمعول
لهدمى ونسيانى بكل شتات
ومالوا إلى سهل الكلام ورثه
وعاميَّة الأشعار كلُّ حفاة
وإعْلاَنُهم نال الرسوبَ جدارة
بكل صحاف أو بكل قناة
فأدعوكم أهلَ الخليلَ لنصرتى
بتشطير أشعار بها عزماتى
ووزن ومعنى لاحدود لشرحها
فذاك أصول القول بالنظرات
وخلوا وصال اليوم بالماضى دائماً
«فشوقى» و«حسان» أصول ثباتى
وكل الذي يعمل بإعلام قومنا
أقول لهم لا تهدمونى بُنَاتى
فأجدادكم نالوا العلا بلسانهم
بفصحاى دون الخلط باللهجات
ولا تركنوا للسهل إن قيل أفصحوا
فإن عماد القول بالصفحات
لها «ابن يعيش» و«ابن جنى» سواعدٌ
وحُفَّاظ الفاظى مدى السنوات
و«قس « و» حجاج» حماة لنثرنا
وهذا « الغزالى» فيه جمع حَصَاتى
ويا أيها الجمع السعيد رسالتى
اليكم فأنتم للحفاظ حُماتى
فَقَوِوا لسان القوم بالآى منطق
كذاك حديث المصطفى بهبات
ولا تأمنوا للغرب إن سلاحه
سيصدأ إن كلتم له الضربات

فأهل جنان الله يوم لقائهم
حديثهم بالآى مُنْطلقات
أقول « لحافظ « إن قومى أعزة
متى دامت الفصحى لهم نبرات
إلى معشر الشعراء صوتى مجلجل
ينبه من ناموا على حسرات
إذا اللغة الفصحى ارتقت بلساننا
فكل الذى صاغوه بالهفوات
وهاكم سلام الله دوماً عليكمَ
سلام يدوم الدهر بالدعوات
فلا تحزنى إنا حماة بناتنا
من اللفظ والمعنى بكل صلاة
وندعو إله الكون عزاً ومنـة
«بطـه» و«يسين» وسبع آيات

الهوامش

١- الخصائص لابن جنى ص ٢١ جـ ١.
٢- د. إبراهيم أنيس . اللغة بين القومية والعالمية ص ١٠٤
٣- السابق ١٠٨.
٤- د. عتمان أمين. فلسفة اللغة العربية ص ١٦.
٥- فن الكتابة للراديو والتليفزيون د. كرم شلبى دار الشروق ص١٠٥.
٦- ديوان هاشم الرفاعى ص٣١٧.
٧- ديوان عبد اللطيف النشار ص ١٩٢.
٨- مصطفى صادق الرافعى للدكتور مصطفى الجوز ص ٢٠٩.
٩- ديوان حافظ إبراهيم ص ٢٢٣.
١٠- ديوان على مشارف الثمانين. د عبد الرحيم زلط (تحت الطبع)